مظاهر الآخر الغجري في رواية لعنة كين لفوزي الهنداوي (دراسة صورولوجية)

Other manifestations of gypsy in the novel "The Curse of Kane" by Fawzi Al-Hindawi

ط. د / صادق البوغبيش
د. رسول بلاوي ، د. محمد جواد بورعابد ، د . ناصر زارع

(قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر- إيران)

ibnorrasool@fgn.ui.ac.ir

تاريخ الإيداع: 2021/09/04 تاريخ القبول: 2021/10/30 تاريخ النشر: 2022/03/15

الملخّص

الرواية العراقية المعاصرة هي مرآة للواقع العراقي المعاش إذ نرى تحديات قومية، وعرقية، ومذهبية لإثبات الحضور ودلالة الوجود، وهناك من تعهد بأن يعكس صورة الآخر في أدبه لكي يلتزم برسالته الإنسانية والأدبية ويبيّن الأحداث من وجهة نظره. لا شك بأنّ أوضاع الأقليات تقهقرت كثيراً إثر احتلال بغداد وانعدام الأمن في جميع أنحاء العراق. هناك أقليات كثيرة في العراق ومنها أقلية الغجر إذ كانت ضحية التطرف والعنصرية. فوزي الهنداوي أديب عراقي يرى على عاتقه تصوير الصورة الحقيقية للمجتمع العراقي قبل وبعد الاحتلال وقد اتّجه لترسيم صورة حقيقية لأقلية الغجر، لهذا خصّص عمله الروائي إلى هذه الأقلية المضطهدة. رواية "لعنة كين" رواية تعالج قضايا مرتبطة بالأقلية الغجرية في منطقة الكمالية في العراق.

يسعى هذا البحث من خلال المنهج الوصفي- التحليلي إلى استخراج صورة الغجر في رواية "لعنة كين"، وكما سنرى في النتائج، أنّ الروائي على عكس باقي الروائيين اللذين خلقوا صورة معتادة من الغجر في خيامهم وربابتهم، بل صوّر الغجر المستقرين في البيوت، والذين يعيشون كباقي الناس رغم هناك عوائل من الغجر تعيش على الدعارة أمّا يفرّق هذه العوائل ويعكس المجتمع الغجري بما هو حقيقي، ثمّ ركّز الروائي على حقبة سقوط بغداد والغزو الأمريكي حيث سُلِبَت الغجر بيوتهم وعقاراتهم وقُتِلوا وطُرِدوا.

المفردات المفتاحية: الرواية العراقية، صورة الآخر، صورة الغجر، فوزي الهنداوي، رواية "لعنة كين".

Abstract

The contemporary Iraqi novel is a full-blown mirror of the reality of Iraqi society in which we see ethnic, racial, and religious differences fighting to prove their existence. There is no doubt that Iraq after the fall of the Ba'athist regime and its colonization by the United States Religious and ethnic minorities faced problems, with Fawzi al-Hindawi narrating the problems of the gypsy class in the Kamaliyah region before and after colonization. This descriptive-analytical method tried to show another face of the gypsy in the novel, which we saw as a result. The novelist, unlike the rest of the novelists, who created the usual image of Roma in their tents and chariots, but depicted the Roma who settled in homes, and who live like other people, even though there are Roma families who live in prostitution. The era of the fall of Baghdad and the American invasion in which Roma were robbed of their homes and estates, killed and expelled.

Keywords: the Iraqi novel, the image of the other, the image of the gypsy, Fawzi Al-Hindawi, the novel "Kin's Curse".

1. المقدمة

ظهر الآخر الغجري في الرواية العراقية حديثاً ليبيّن للمتلقّي ما واجهته الغجر في العراق منذ سبعينات القرن المنصرم حتّى حقبة الاحتلال الأمريكي، ومن خلال هذا الحضور الغجري يبيّن لنا الروائي تاريخ الغجر، وأساطيرهم، ومهنهم المختلفة من رقص، وغناء، ودعارة، وهيئاتهم الظاهرية في العراق، وارتباطهم بالأميّة وكيفية استقرار الغجر في سكنات في هوامش بغداد، وارتباطهم بالعرب الساكنين في الأحياء كحي الكمالية.

رواية "لعنة كين" للروائي العراقي فوزي الهنداوي تجمع كل هذه الخصال لكي تكون لنا مرآة عاكسة للمجتمع الغجري في العراق، ومن هذا المنطلق، فإنّ الرواية تلعب دوراً كبيراً في الكشف عن أدق التفاصيل الخاصّة بالإنسان ومجتمعه، ونقلها إلى القارئ في صورة أدبيّة مشوّقة. وقد اتّخذ منها الكتّاب وسيلة للتعبير عمّا يشعرون به وأيضاً عمّا يعيشه مجتمعهم، فلذا اخترنا للدراسة نصاً سرديّاً روائيّاً، بعنوان

"لعنة كين" للروائي العراقي الشهير، فوزي الهنداوي. وسنعتمد في هذه الدراسة، إجرائيّاً ورئيسيّاً على المنهج الوصفي- التحليلي، كونه يصف بنية وعناصر العمل ويفكك مكوّناته وأجزاءه ومن ثم يحاول تفسيره واستنباط خصائصه.

إنّ موضوع هذا البحث هو "مظاهر الآخر الغجري في رواية "لعنة كين" لفوزي الهنداوي (دراسة صورولوجية)" لكي نبحث عن صورة الغجر في الرواية بأشكالها الكاملة. ولقد اخترنا هذا الموضوع بالذات لسببين: أولاً: أهميّة الآخر في الرواية العربية العراقية وتحديد مكوناته وجذوره في المجتمع العربي وتحديداً بعد الحرب العالمية الثانية. ثانياً: ندرة الدراسات التي بحثت الآخر الغجري في روايات فوزي الهنداوي.

رواية "لعنة كين" أوّل رواية عراقية تعالج اوضاع الغجر بعد سقوط بغداد عام 2003 بيد الاحتلال الأمريكي، وهذه الرواية تكشف لنا الكثير من أحداث الغجر بداية من السبعينات وكيفية استقرار الغجر في كمالية العراق وكيفية ارتباطهم بالعرب ومعيشتهم الذاتية، وانتماءهم للعراق ووفاءهم لحزب البعث عندما تبرعت النساء بالذهب، إذن هذه الرواية تستحق القراءة من ناحيتين: الناحية الأولى أهمية الحقبة التاريخية التي يرويها الروائي والثانية: أهمية دراسة المجتمع العراقي أثناء الغزو الأمريكي للعراق وأحوال الأقليات بين المتطرفين.

1-1. أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف جسّد الهنداوي صورة الغجر في رواية لعنة كين؟

وما أنواع الصورة التي اعتمد عليها الروائي لتصويف الغجر؟

1-2. فرضيات البحث

- يبدو أنَّ الغجر في ترحالهم من مكان إلى مكان قد مرّوا بالأوطان العربية وشهد تأثيرهم المجتمع العربي على الكثيرين من أبناء العرب. لهذا صوّر الروائي جماعة رحّالة تمتهن مهن كثيرة منها الرقص والغناء. وظهر الغجري في صُور متعدّدة منها الغجري الأمي، والغجري المغني، والمطرب، والغجرية الراقصة وإنشاء بيوت دعارة.

- حاول الروائي أن يكون منصفاً في تصوير الصورة الغجرية، وقد فرّق بين العوائل حسب المهن، واعطاء كل شخصية حقها، وفق توصيفها.

1-3. خلفية البحث

من خلال البحث في مجال ماهية الغجر والدراسات التي تشمل هويتهم، تبيّن لنا أنّ هناك دراسات آكاديمية على مستوى كتاب، أو أطروحة جامعية، أو مقال محكّم. على سبيل المثال لا الحصر:

كتب طه حمادي الحديثي (1979) كتاباً بعنوان "الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية" وقد قسّم الكتاب على أربع فصول: الفصل الأوّل: الصفات الاثنوغرافية والديموغرافية، الفصل الثاني: الاستيطان، الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي، الفصل الرابع: مشاكل الغجر والقرج واقتراحات لحلولها. ويرى الكاتب أهم مشكلة عند الغجر [في عصر الكاتب] هي عدم منحهم الجنسية العراقية، وكأنّه لا يعلم بأنّ الغجر أصلاً لا يريدون جنسية لكي لا يتقيّدوا في جغرافيا خاصّة، وغفل عن المشكلة الأساسية وهي مسألة الحدود وتضييق الأمور عن ترحالهم باتت أهم قضية عند الغجر. لا ننسى بأنّ الكتاب تناول الفعاليات الاقتصادية للغجر وتحصيلها العلمي، وأماكن تجوالها المعتادة سابقاً، ومناطق أقامتها الحالية، وهو لا يهتم بالجانب الأدبي ألبتة.

كتب الكاتب جمال حيدر كتاباً بعنوان "الغجر: ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب" و نشُر من دار المركز الثقافي العربي سنة 2008، ونرى في فهرس الكتاب المواضيع التالية: الهوية، القيم والأعراف، السلوك، الغجر في المنطقة العربية، حول الأرض، الهولوكوست، فنون الغجر، والأساطير، بما إنّ الدراسة لا بأس بها، أمّا تفتقر من دراسة ميدانية، تحليلية وحتّى توصيفية، وقد اكتفى الكاتب بالسرد ونقل الأقاويل ولم يستند بدراسات سابقة ومحكمة.

كتبت الكاتبة الأردنية مي بنات كتاباً بعنوان "صورة الغجر في الرواية.. دراسة مقارنة في نماذج عربية وعالمية" وصدر عن دار الآن ناشرون وموزعون. شمل الكتاب ثلاثة فصول، مهّد لها باستهلال يشمل أولاً التّعريف بجماعة الغجر التي تتضمّن: التسمية، وأصول الغجر، ولغة الغجر، والمعتقد الديني لدى الغجر، وأبرز عادات الغجر التي تضمّ بدورها: الأسرة والموت والدفن، وثانياً: الصورة النمطية للغجر، وثالثاً الغجر والأدب.

هناك كتاب للكاتب حميد الهاشمي تحت عنوان "تكيّف الغجر: دراسة إنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق" وقد قسّم الكتاب على عشرة فصول: الفصل الأوّل: من هم الغجر والكاولية؟ الفصل الثاني: فرضيات في أصل الغجر، الفصل الثالث: الغجر أو الكاولية في العراق، الفصل الرابع: القرابة والزواج في مجتمع الكاولية، الفصل الخامس: النسق الديني، الفصل السادس: النسق الاقتصادي، الفصل السابع: الضبط الاجتماعي، الفصل الثامن: الاتصال والتفاعل الاجتماعي،

الفصل التاسع: التكيف الاجتماعي، والفصل العاشر: أوضاع الكاولية في العراق اليوم. دراسة شاملة تستحق القراءة والتقدير، تعرّفنا على غجر العراق.

قليلة جدًا هي الكتب التي عنيت بموضوع الغجر في الرواية، ودراسة صورتهم الحقيقية لهذا حاولنا أن ندرس صورة الغجر في الرواية العربية بمنظار الآخر الغجري في الروايات العربية.

2. المدخل النظري للبحث

في هذا القسم من المقال سنعرّف القارئ باصطلاح الصورة ومفهومها النقدي، وأنواع الصور، ومصطلح الغجر في النصوص العربية ومعتقداتهم الثقافية.

2-1. الصورة ومفهومها النقدي

ارتبطَ مفهوم الصورةِ بالمفاهيم المرتبطة بالمرآة حيث يعكس كل ما يقوم أمامه، "فأيّ شيء يمتلك خاصيّة السطح العاكس فهو مرآة وهذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل، وأمّا الذي تعكسه فهو يعرف بالصورة أو الانعكاس، وتدور الصورة مع أصلها وجوداً وعدماً، فإنّ وُجِدَت كان الأصلُ موجوداً، وإن انعدمت أو غابَت كان الأصل منعدماً أو غائباً"[1] فمن هذا الانعكاس تظهر أهميّة للصورة وأصلها، لهذا يُظهر الحديث عن الأنا والآخر والارتباط القائم بينهما، صورةً تساعدنا على كشف هويتنا التي سُمّيَت بالأنا، "حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآةٍ تساعد الآخر على رؤية ذاته"[2]. فإذا كانت الصورولوجيا حقلاً من حقول الأدب المقارن ومن أوّل المجالات التي تطرّقَ إليها هذا الأدب، فمن الذي يكوّن الصورة ويخلقها؟ يرى عبدالمجيد حنّون أنّ الأديب يحاول أن يخلق الصورة، قريبة من الواقع الحقيقي؛ لأنّها "لاتطابق الواقع الحقيقي، وليست شديدة القرب منه، ولكنّها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف، إنّها رؤية معقولة لشعب عن شعب آخر، تعتمدُ على عوامل عقليّة وأخرى ماديّة موضوعيّة وذاتيّة"[3]. إذن الصورولوجيا هي دراسة الصورة الأدبية لمجتمعِ الآخرِ والهويّة التي يحتضنها، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الإنسان يحاول أن يقارن ويوازن نفسه مع الآخر؛ سواءً كان الآخر أجنبياً أو من قومه حتّى. وهذا التخيُّل للآخر يُسفرُ عن رسم صورة له وينتهي إلى مقارنة الذات بالآخر كما تؤدّي هذه المقارنة إلى معرفة الذات بنفسها؛ فحينما يأتي الإنسان بمقارنة الذات بالآخر يتعرّف على مواضع الاختلاف والتشابه بينها وبين الآخر، وإذا كان التشابه أكثر من الاختلاف يأتي بمعاملة حسنة؛ ولكن بمجّرد ظهور الاختلافات تتولّد الجدليّة الحادّة في كلّ شيءٍ، في الحياة المدنية، والسياسية والاجتماعية؛ إذن لكل صورة موضوع يختلف عن موضوع الصورة التي تليها.

2-2. أنواع الصور

قسّمت سلاف بوحلايس الصورة إلى نوعين، الأولى: صورةُ شعبٍ في أدبِه، والثانية: صورةُ شعبٍ في أدبِ شعبٍ آخرَ. في النوعِ الأوّل "لايتعدّى إطاره القومي واللغوي، فهو إذن يبحث فنيّات الأديب في طرق موضوعه أو فنيات الأدباء في تناول الموضوع، بالوصف والتحليل مثل صورة الفرنسيين في أدبهم أو صورة المرأة الألمانية لدى أديب ألماني، أو صورة المرأة المصريّة في روايات نجيب محفوظ أو في الأدب المصري عموماً"[4]. وفي هذا النوع تكون الأنا صورةً للأنا ذاتها. وفي النوع الثاني إذ "لاتهتمّ إلا بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة، أو أن يكون لها معها مصالح اقتصادية، أو تريد كسب ودّها أو تخشى بأسها"[5]. وهناك من قسّم الصورة إلى مباشرة وغير مباشرة. "تأتي الصور المباشرة من علاقة وتعامل الأنا مباشرة بالآخر والعيش في بلد الآخر وفي ثقافته ويحصل عن طريق تأثير شعب في آخر وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية، أو القصة القصيرة، أو المسرحية، أو الشعر"[6]. والصورة غير المباشرة تأتي على أساس الصور الأخرى "مثلاً الشاعر لم يعش في بلد الآخر ولم يواجه ثقافته من قريب بل يصوّره على أساس الصور التي قدّمها الآخرون في آثارهم أو على أساس ما قرأ عنه في الكتب الأخرى. وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود، ثم يبيّن كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأى العين، وإلى أيّ حدٍ كانت الصورة التي رسمها لذلك البلد صادقة أو كاذبة"[7] ولكنّ الصور في رواية "لعنة كين: قائمة على لمس الواقع الاجتماعي العربي ومشاهدة الأحداث التي يعاني منها المجتمع العراقي عموماً والأقليات خصوصاً.

2-3. الآخَر

الآخر بمعنى الغير في اللّغة و"يُعبَّر عنه أيضاً بِعِدَّةِ ألفاظٍ كالمختلفِ أو المغايِر أو المتميّز، ويقول البعضُ إن الضمائر الأخرى، مثل أنت وهي وهو وغيرها من الضمائر هي إشارة إلى الآخَر أو للا-أنا في مقابل الأنا"[8]. و"الآخَر لغة هو غير، كقولك: رجل آخَر"[9]. "الآخَر بالفتح أحد الشيئين وهو اسم على أفعَل والأنثى أُخرى، إلّا أن فيه معنى الصفة، لأنّ أفعل من كذا لايكون إلّا في الصفة، والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمَعَت همزتان في حرفٍ واحدٍ استُثقلت فأُبدِلَت الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح الأولى قبلها، قال تعالى: ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾. قال الفراء معناه: أو آخرون من غير دينكم من النصارى واليهود"[10]. وفي المعنى القريب البسيط هو "كلّ من يقارب الأنا وأنت ونحن؛ أمّا في المعنى الاصطلاحي الأبعد فالأمر مختلف"[11]. وما ذلك إلّا "لأنّ في الوجود الإنساني آخَر دينياً ومذهبياً وقومياً وعرقياً وجغرافياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً؛ فتتعدّد دوائر الآخر ومستوياتها بتعدُّد دوائر الأنا ومستوياتها. ويختلفُ تحديد الآخر تبعاً لموقع الناظر إليه؛ فالآخر بالنسبة للذات الدينية هو ذلك الإنسان

الذي ينتمي إلى دينٍ آخر، أمّا الآخر بالنسبة إلى الذات القومية أو العرقية فهو الذي ينتمي إلى قومية أو عرقية أخرى"[12].

حاول مفكرو الغرب -منذ القدم- أن يصنّفوا العالم بين الذات والآخر، حيث يجعلون من الآخر عبداً بالفطرة لاقيمة له بالنسبة للأنا ويجب عليه أن يعترف بالدونيّة؛ كما تَسرَّبت هذه الفكرة منذ عهد "أرسطو" حيث "قسّم العالم إلى إغريق، وبرابرة، أو بعبارةٍ أُخرى إلى أحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة"[13]. إذن العصبيّة العرقيّة اليونانية أساس الصورة التي رسمها الآخر للأنا وكانت ثقافة الفلسفة السبب الأهم في هذا الأمر، لأن التعصُّب الثقافي "ساهم في تأكيد التفوّق الإغريقي وفضّله على الحضارة الغربيّة الحديثة، مقابل عجز الآخر عن الارتقاء إلى مستوى العلم والفلسفة والسبب في ذلك هو افتقار العبقرية لدى شعوب المنطقة أو إلى أوضاع اجتماعية ولعلّ العاملينِ معاً لهما دورهما بلا شك"[14].

2-4. مصطلح الغجر في النصوص العربية

الصورة المعتادة التي طبعت على الكثير من الأذهان أنّ الغجر هم قوم مهمّشون، وفارون مطرودون من كل مكان، ولفظة الغجر تعني بهذا القوم، ولكن تغيّرت الأحداث والمجريات ليتغيّر إسم الغجر في سطور الأدباء ويصبح رمزاً لآرواح هائمة في هامش الحياة ومن هنا انتبه الأدباء إلى لفظ الغجر حتّى ،كانوا منبعاً للإلهام، عند أسماء كبيرة... ثم إنّ غير الغجر، حين كتبوا عن الغجر، فإنهم كتبوا عنهم على نحو هامشي لأنّ هؤلاء القوم عاشوا حياة هامشية، فاستحقوا كتابة هامشية[15]. وتكاثرت الأسماء حول هذه الفئة المهاجرة وفي الكثير من المناطق التي يجتاوزها الغجر تتغيّر الأسماء والعناوين ورؤية أناس تلك المناطق . "في المنطقة العربية تتفاوت تسميّات الغجر أيضاً، إذ يطلق عليهم في العراق لقب "كاولي" وهي مفردة محرّفة عن "كابلي" نسبة إلى كابل عاصمة أفغانستان، وهي إحدى أهم المدن التي مرّ بها الغجر خلال رحلتهم، في حين يطلق عليهم في بلاد الشام تسمية "نوري" وهو الاسم المحرّف عن لوري وهي القبيلة الأهم لدى الغجر. وفي مصر يطلق عليهم "النور" و"الحلب" إلى جانب تسمية الغجر[16]. ويطلق مصطلح "الغجر" على "مجموعة من الأفراد ينتمون إلى عرق يختلف عن العرق الذي ينتمي إليه مواطنو البلد التي يرتحلون إليها، وكان يتميّز أصحاب هذا المسمّى بالترحال، وهم من أصل هندي[17]. إذن لفظ الغجر مشهور لدى العرب وسنعتمد على هذا اللفظ في البحث.

2-5. صفات الغجر

اجتمع أكثر الباحثين على توصيفات معينة للغجر وقد كان "جورج مين" من بين الذين حاولوا تحديد صفات الغجري الحقيقي أو النموذجي، فقد قرّر أن الغجري الحقيقي له بشرة داكنة وشعر أسود،

وعينان لامعتان، وأسنان برّاقة، فبشرتهم تميل إلى السواد بصفة عامة، وتتدرج من اللون الزيتوني القاتم إلى البني أو الأسود[18] ويكتب جمال حيدر: اختلفت تسميات الغجر في أزمنة مختلفة ومدن متمايزة، غير أنها ارتبطت بالتصورات السائدة لدى العامة عنهم وتتمحور حول معنى موحّد يتبلور بأن الغجر هم: المشعوذون، داكنو البشرة، اللصوص، السحرة، المتسولون، والفئات المنحطة في المجتمع، والكفرة وحاملو الأمراض[19]. والاوصاف ستساعدنا على اكتشاف الصورة الحقيقية للغجر.

2-6. معتقدات وعادات الغجر

بحث بعض العلماء والمحققين في أصل الغجر ورسومهم وعاداتهم ونشرت كتب في هذا المجال وقد اتّفق أكثرهم بأنّ "لغة الغجر هي اللغة السانسكريتية ونشأتهم كانت في الهند وخرجوا من هناك ولديهم عادات متشابه لو هناك بعض الغجر يأخذون عادات أهالي المناطق التي يسكنونها للعيش بأمان ودون إحراج"[20]. وهذا ما اتّفق عليه العلماء إذ "يرى علماء فقه اللغة أن لغة الغجر لغة هندو أوروبية ترجع بجذورها إلى السنسكريتية. ويرجع هذا إلى أن نقطة انطلاقهم كانت وسط أو جنوب آسيا. وقد امتزجت لغتهم قليلاً بالاختلافات المحلية، ومع ذلك فهي أينما وجدت أوثق ارتباطاً باللغة الهندوستانية من أي لغة أخرى، كذلك قرر "جروم" أن هناك ما يقرب من مائة كلمة يونانية في لغة الرومني، وهناك العديد من الكلمات السلافية، وبعض كلمات قليلة من الفارسية والأمريكية والرومانية والكجرية، والكلمات الألمانية الأصل"[21]. يعتقد الغجر بمبدأين مبدأ الخير ومبدأ الشر. "الإله عند الغجر والخالق حيث هو مبدأ الخير والجمال يسمّى بـ"o"del" والشيطان وهو مبدأ الشر سُمّي بالـ"o"bengh"، بعقيدة الغجر مبدأ الخير ومبدأ الشر يحملان طاقة متعادلة ولا يستطيع أحدهم النيل من الآخر، لهذا تراهما دائماً في صراع"[22].

2-7. رواية "لعنة كين"

فوزي الهنداوي يروي قصة الغجر في الكمالية وارتباطهم بعرب العراق. بداية الرواية يأتي الروائي بنص تنشده "ريما" الغجرية وتلعن كين، جد الغجر كما يروي قصّته الرواي، ثم عند احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية، تستولي العصابات الإرهابية والجماعات المتطرفة على أحياء كثيرة من العراق ومنها الكمالية، ولأجل استغلال الفرصة والاستيلاء على عقارات الغجر هدّدوا الغجر بالذبح حال بقاءهم في العراق، ومن هنا حان وقت الرحيل. بعد هذه البداية من خلال الإرتجاع الفنّي يرجع الروائي بنا إلى الماضي وكيف اشترى والدهُ بيتاً في الكمالية وتعرّف على ريما وكانت تلك الحقبة تتابع وفود الغجر إلى الكمالية بواسطة الحاج صالح ومحمود اللايح وصارت علاقات بين العرب والغجر حتّى نشبت الحرب العراقية-

الإيرانية واستدعت قوات البعث كل المواطنين ومنها الغجر، وشباب الغجر للهروب من الجبهات كانوا يدعون الضبّاط لبيوتهم ليتمتّعوا في حفلاتهم الغنائية ونسائهم الرشيقة لكي يبعدونهم من الجبهات، ثمّ عندما طلب قائد البعث بالتبرع لإنعاش خزينة البعث، تبرّعت نساء الغجر لصالح الجبهات الحربية بالذهب والأموال، هذه العلاقات بين الغجر والسلطات جعلت الغجري يطالب بحقّه لأخذ هوية كباقي المواطنين، وكتابة عقاراته باسمه وهذا الأمر أزعج الحاج صالح واشعل فتيلة الحقد على الغجر، وهذه الضغينة ظلّت حبيسة في صدره وكان بانتظار فرصة مؤاتية لينتقم، هذا مما أدّى كراهية بالنسبة للغجر، وبعد سقوط البعث جاء الحاج صالح لينتقم من الغجر وهجّرهم، وقتلهم، وأخذ بيوتهم كلّها.

في بدايات الرواية نرى الراوي يظهر كرهه تجاه الغجر لهذا عندما طرقت ريما الباب وعرف بأنّها غجرية حاول أن يتنمّر ويطردها، لكنها أخجلته بلفظ "نحن جيران" ودخلت البيت رغماً عنه، ثمّ جلبت حب اخته ودعتهما إلى حفل زفاف أخيها، بعدما حضر الحفل تغير رأيه بالنسبة للغجر: "أعاد عرس شقيق ريما رسم صورة سلبية كانت في خيالي عن الغجر، بهرني حفلهم كثيراً، رجال مسالمون"[23]. كانت النظرة الأولى حول الغجر هي نظرة ازدراء ودونية ويظنّ أنّهم قوم غير مسالمين، رغم أنّ تغيّرت بعض المفاهيم عند الراوي، ولكن النظرة الدونية تبقى ولا يستطيع المرء تغييرها في غضون أيام أو أسابيع لهذا نرى في الحي ومن أهالي الكمالية يقسّمون الحي إلى غجر، وعرب محترمين: "اسمعوا شباب أنتم طلاب جدد في الكلية، هنا مجتمع مختلف تماماً عن المدرسة الثانوية، طالب وطالبات من معظم أحياء بغداد ومن محافظات الجنوب والشمال، نحن أبناء الكمالية ندرك أن فيها *عوائل محترمة شريفة وقبائل معروفة*، ليس كل من يسكن الكمالية هو غجري، هذه الحقيقة أعرفها أنا مثلما تعرفوها أنتم لكن هذا الكلام لا ينفع في الكلية، والجميع هنا يعتقد أن الكمالية هي مدينة الغجر، لا يسكن فيها غير الغجر، أنا زميلكم وابن منطقتكم وأقدم منكم في الكلية، أعرف ما لا تعرفونه أنتم، لذلك أحذّركم بشدة إياكم أن تقولوا أننا نسكن الكمالية، لا في حفلات التعارف ولا في أيٍّ أحدٍ، منكم يفشي هذا السر، فهو الذي يتحمل تبعات كلامه سيكون موضع سخرية وازدراء، إياكم إياكم إياكم"[24].

يسعى فوزي الهنداوي تصوير صورة الغجر منذ مطلع السبعينيات واستقرارهم في الكمالية واختلاطهم بالعرب من العراق خصوصاً في الكمالية، ولا شك هناك مساعي لطرد الغجر من بيوتهم لأسباب متعلّقة بالعنصرية. يروي الروائي حقبة مهمة حيث أدّت إلى مشاجرات وهذه لأسباب كثيرة منها: "ان تداخل مساكن الغجر مع مساكن المواطنين بالكمالية قد ترتبت عليه آثار سيئة، منها دخول الزبائن

إلى بعض مساكن المواطنين ظناً منهم مساكن الغجر، الامر الذي أدّى إلى حدوث منازعات دائمة بالمنطقة، وشكا المواطنون للمسؤولين عن الانحرافات السلوكية لأسر الغجر"[25]. ويرى الأنا العراقي أنّ حضور الغجر في محاذاة بيوتهم من العار، ولابدّ أن يكتموا هذا الأمر إن حصل، ثمّ باسم زميل الرواي في الكلية يتنمّر عليه قائلاً: "علق باسم: انت غشيم، يريد يظل قريب منهم، يشتم رائحتهم. انزعجت من كلام باسم فنهرته: باسم أرجوك ليكن مزاحك دون تجريح أو إساءة. ردّ جاداً: لا تزعل، أكثر من شخص شاهدك تتجول في أزقة الغجر ليلاً"[26].

وعندما ردّ عليهم بأن كان لديه واجب حزبي، يسخر منه باسم قائلاً: "واجبكم هذا لا ينفذ إلا في أزقة الغجر؟ حتّى يسخر عرفان ويقول: نعم رفيق، كم عاهرة؟ وكم قواداً؟ ألقيتم القبض عليهم؟" [27] ليبيّن للقارئ بأنّ الأنا العراقية ترى الغجر بهذه الخصال. ولم يأتي هذا الكلام من فراغ بل هناك فكرة وراء هذا القول "كما يطالب المواطنون في حي الكمالية سلطات الدولة بترحيل اسر الغجر منه، على اعتبار ان الغجر عدوى اجتماعية آخذة بالانتقال اليهم، حيث اخذت ظاهرة الغاء تسري في بعض الاسر العراقية ايضاً"[28]. على الرغم من احتقار الغجر، أمّا الغجر فقد ظهروا مدى ولاءهم للعراق، وهذا الأمر ظهر عندما تبرّعت نساء الغجر بالذهب لدعم جهات القتال: "لم يدع الغجر فرصة دعوة الناس للتبرع بالذهب لدعم المجهود الحربي حين أطلقت في الثمانينات تمر دون أن تكون لهم بصمة فيها، فقد تبرعت معظم الغجريات بكميات كبيرة من المصوغات الذهبية، ونقلت شاشة التلفزة الحكومية لقطات تظهر نساء الغجر وهن ينتزعن قلائدهن وأساورهن ويتبرّعن بها"[29]. ومن هذا الجانب ظهر ولاء الغجر إلى العراق وإلى الحزب البعثي. إذن نظرة الأنا العراقية تجاه الآخر الغجري هي نظرة دونية لا صلة لها بالنظرة الاجتماعية والإنسانية وتظهر عنصرية الأنا العراقية- العربية وفق نص الرواية، وحتّى إذا أردنا نفصل بعض الشخصيات من هذا الأمر لا نستطيع، لأنّ حتّى الرواي كان من الأشخاص الذين تنمّروا على الغجر وشارك في نوادي لاستعلاء العرق العربي في الكمالية، فهذه الرواية الواقعية بيّنت لنا رؤية الأنا العربي-العراقي تجاه الغجر لم يتغيّر ولو سكنوا لسنوات كجيران.

3. القسم التطبيقي للبحث

في هذا القسم من بحثنا حول الآخر الغجري ندرس ونبحث الموارد التالية: اقتصاد الغجر كالطرب والغناء، والرقص، والدعارة، ثمّ نبحث الناحية الاجتماعية للغجر، كالتقاليد وأوصافهم، والزي وملابسهم، واللغة

وحواراتهم، وسكنهم من الخيم إلى البيوت الاسمنتية وأساطيرهم القديمة، وفي الأخير الأمّية التي تعمّ أوساط الغجر، وفي الأخير الغجر بعد الاحتلال والحوادث التي مرّت بها عوائل غجرية- عراقية.

3-1. اقتصاد الغجر

الغجر لأجل لقمة عيش وأمان، امتهنوا مهناً كثيرة وكانت أهمها صنع أدوات حديدية منزلية وبيعها في الأسواق، ثمّ بما أنّ الغجر دائماً في ترحال، استطاعوا الدراية والمعرفة بالأعشاب الطبية والبخورات والعطور، ثمّ بجانب هذه الأمور التسويقية، هناك موارد ترفيهية قامت بها نساء غجريات، كغناء، ورقص، واعتمادهم على بعض المهن المختصّة بالنساء إذ جعلت هؤلاء القوم يُطردوا من المجتمع التقليدي لأنّ كبار المجتمع يخافون افساد نساء مجتمعاتهم. طه الحديثي الباحث في شؤون الغجر يروي احوال غجر العراق قائلاً: "ان اقتصاد الغجر يعتمد في اساسه على حرفة الرقص والغناء وتلعب المرأة دوراً كبيراً في دلك... اذ يحترف معظمهم النجارة "صنع الغرابيل" والحدادة وصبغ الاحذية واعمال البناء"[30]. وتأكيداً لهذا الكلام، نقرأ في الرواية حواراً دار بين الراوي وربما حول قصّة الغجر و"بهرام غور" واتلاف البذور الزراعية وطردهممن فارس، تقول ربما: "أظن أنها صحيحة، بدليل أن رجالنا إلى الآن كسالى، لا يعملون، يعتمدون على النساء في معيشتهم"[31]. إذن نرى بأنّ الرقص والغناء مهنة أساسية لدى الغجر أما من الناحية الاجتماعية فيتميز الغجر والقرج بميزات تجعلهم منبوذين من وجهة نظر المجتمع. وذلك لسلوكهم الشاذ الذي يتجلّى عند الغجر بمزالة الرقص والغناء. اضافة إلى البغاء الذي تمارسه بعض اسرهم[32]. إذن سندرس الطرب والغناء عند الغجر، ومهنة الرقص عندهم، والدعرة أخيراً في هذا القسم من البحث.

3-1-1. الطرب والغناء عند الغجر

رواية "لعنة كين" ركّزت على رقص الغجر وغناءهم في الكثير من صفحات الرواية وهذه صورة معتادة للغجري إذ "لا يمكن تصور غجري دون آلة موسيقية. فالموسيقي بالنسبة للغجر هي بمثابة الصرخة المدوية على امتداد الدهور التي لامسوا خلالها أقسى أنواع العذابات.. والمعبّرة أيضاً عن شهوة الحياة التي طالما حلموا بها. وهي بذلك الهوية البديلة عن هويتهم الضائعة، إذ تحفل موسيقاهم بطاقة تعبيرية دون مدى وتنصهر في نغماتها أقصى حالات الألم والعشق في آن. وعُرف عن الغجر ارتباطهم بالموسيقي عزفاً وغناء ورقصاً وكانت مواهبهم سبباً رئيساً في حصولهم على قدر من الصفح والتسامح. وليس للغجر لغة موسيقية مشتركة، فهم حفظوا الأغاني والموسيقي المحلية للشعوب التي شاركوها الحياة، وأضافوا إليها نكهتهم الخاصة، ونالوا بذلك الاعتراف ليغدوا جزءاً من الهوية الوطنية لموسيقي تلك الشعوب. ومنذ

منتصف القرن الثامن عشر أصبحت هيمنتهم واضحة على الموسيقي ولم يعد بالإمكان الاستغناء عنهم، حتّى غدت الموسيقي من أرقى المهن التي يمارسها الغجري، كذلك أهمها كمصدر للرزق"[33]. لذلك لا عجباً إذا اعتمد الراوي على مهنة الغجر بالغناء لأنّها المهنة الأهم عندهم:

"بدأ العرس في الساعة العاشرة والنصف صباحاً بدخول جوقة (فرقة) **يقودها ربُّ أسرة غجرية**، تألفت من خمس نساء بأبهى الحلل والملابس، وقفت إحداهن أمام منصة الميكرفون الذي جلس خلفه أربعة عازفين، أمسك أحدهم الربابة فيما أمسك آخر يطلق عليه اللازوم طبلة كبيرة في حين احتضن عازف آخر طبلة أصغر حجماً، عرفت أنه يلقب بـ(الصاكول) ومسك الرابع ناياً"[34]

حفلات الغجر وفق نص رواية "لعنة كين" كانت عائلية، هذا بمعنى أنّ من أقام حفل زفاف من الغجر، يدعو عائلات الغجر، وهم وفق التنسيق القبلي يترأسون المنصّة ويغنّون، وغناء الرجل الغجري كان أهم من غناء المرأة أنذاك والمرأة كانت تعتمد على الرقص، ولكن في رواية "لعنة كين" ليس الرجال وحدهم من يغنون، بل نساء الغجر هن اللواتي يغنن في الحفلات ويرقصن في الأعراس كما نعرف "[35] بأنّ الغجر يعتمدون على النساء في معيشتهم" والراوي يصف لنا الأمر من خلال زواج أخ ريما قائلاً:

"بعد دقائق قليلة بدأت **الغجرية** الواقفة أمام الميكروفون **الغناء**، بدأته بطور الأبوذية ثم الهجع لتنتهي بالجوبي، تناغمت الرقصات مع الغناء وإيقاعات الطبول بشكل منتظم أثار إعجابي ودهشتي"[36]

فالغجر يبحثون عن مصدر رزق وبما أنهم يحبون حياة اللهو واللعب والخمول، يفضّلون الرقص والغناء عن باقي المهن. تكرّرت لفظة "الغناء" في الرواية ثمانية مرّات وركّز الروائي على هذه المفردة خصوصاً لكي يبيّن للمتلقّي أنّ هناك عوائل في الكمالية امتهنت الغناء دون البغاء والدعارة، هذا ما شهدناه في عائلة ريما حيث غنّت في الإذاعة من غير أن تمتهن الدعارة.

3-1-2. مهنة الرقص عند الغجر

يرى الباحثون أنّ الرقص لدى الغجر مسألة أساسية لمعيشتهم الاقتصادية و"إنّ اقتصاد الغجر يعتمد في اساسه على حرفة الرقص، والغناء، وتلعب المرأة دوراً كبيراً في ذلك"[37]. والنساء الغجريات يمتهن الرقص لأسباب كثيرة حسب نص الرواية، فتارة يرقصن في حفلة زفاف غجري، وتارة أخرى ترقص الغجرية للمال، وتارة ترقص لضابط جيش لكي يجلب أخيها من جبهات القتال وتنجو بأخيها من خلال رقصها، فرواية "لعنة كين" تروي أحداث كلّ أنواع الرقص، سيّما في حفل زفاف أخ ريما الغجرية نقرأ:

"جلست **الر اقصات** الأربع على الكراسي بانتظار إشارة البدء التي أطلقها **عازف الربابة** تلاه العازفون على الطبلات، **فنهضت الغجريات** الأربع ليبدأن **جولة رقص** على وقع أصوات الموسيقى وفي تناغم مع إيقاعات الطبول"[38]

وقصّة الرقص والغجر لم تأتِ من الفراغ، بل هناك أسطورة قديمة قرّبت الغجر من الرقص، وسّمّيت بالكاولية. أن أصل تسمية الكاولية كانت تطلق على قبائل هندية كانت نساؤها تمارس الرقص في معبد (كاول) أمام الأوثان، حيث كانت تلك المعابد تستخدم مجموعة من النساء المعزولات عن الحياة العامة لخدمة المعابد والكهنة[39]. وهذا الأمر أيضاً يأتي به الراوي قائلاً: "جلسنا في غرفتي، وبدأتُ أسرد لها أسطورة خادمات الرب: هذه الأسطورة اسمها خادمات الرب، ومفادها أن الكهنة في الهند، أيّ رجال الدين في ذلك الوقت، كانوا يطلبون من نساء الغجر العمل في المعابد بصفة خادمات الرب، والرب كان صنماً يوضع في المعبد، هؤلاء الكهنة استغلوا الغجريات باسم الرب طالبين منهن تقديم خدمات.[40] إذن الروائي يروي قصة حياة الغجر وهو يعرف تاريخ الغجر، ثمّ عندما قام بطل الرواية واخته خولة بتعليم ريما الغجرية، حبّت ترد الجميل لهما، لهذا اقترحت الرقص:

"**إقترحت أن ترقص بعد كل محاضرة**، رفضت ذلك، ظلت تلح، وافقت، أخذت تقدم فاصلاً من الرقص بعد أن تفتح المسجل وتضع فيه شريطاً للأغاني الغجرية"[41]

فالغجرية إذا أرادت أن تردّ الجميل تقترح الرقص كما شرح الراوي للمتلقّي وربما على الرغم من أنّها مبتعدة من البغاء والدعارة، ولكنها كانت ترقص في الحفلات والإذاعة الحكومية. ومهنة الرقص والغناء تعتبر الفعالية الاساسية للغجر "حيث بلغ عدد المشتغلين فيها 1447 فناناً من الذكور والاناث، اي بنسبة تساوي 81.8 من مجموع القوى المنتجة للغجر[42]. فلا شك بأن ما من رواية تعالج هذه الأقلية وتخلو من الرقص والغناء.

3-1-3. مهنة الدعارة عند الغجر

كانت حفلات الغجر الغنائية وامتاع الجمهور برقص الغجريات الرشيقات كمقدمة لنهاية الحفلة، أي بمعنى أنّ الوفود لبيوت الغجر يدفعون مبالغاً طائلة لكي يتمتّعون جنسياً، وكانت الدعارة مصدر رزق لرجال الغجر. وأصبحت مثل هذه الحفلات تقام لأجل أسباب أخرى، مثلاً عندما نشبت الحرب بين العراق وإيران، حشّد البعث الجموع، وطلب من جميع شخص يستطيع حمل السلاح التوجّه إلى جبهات القتال، ومن يتهرّب من الجبهة سيجرجر بالقوة، وصارت الضبّاط تبحث عن الشباب في الشوارع والبيوت، ومن هنا

ارتبط الرجل الغجري بالضابط وقدّم له ما يشتهي لكي يعفو عن شباب الغجر، وبالفعل استطاع الغجر جلب حماية الضباط واستوق عودهم في الكمالية.

"عزم شباب الغجر على نقل ضباط الجيش إلى الكمالية بدلاً من أن ينتقلوا هم إلى ساحات الموت الممتدة لأكثر من ألف كيلومتر من أقصى جبال الشمال إلى مياه شط العرب. خلال شهور، أصبح العديد من ضباط الجيش، قادة فرق، أمراء ألوية وأفواج وكتائب، ضباط استخبارات، يقضون إجازاتهم الدورية في بيوت الغجر، ليال حمراء، حفلات غناء ورقص يتخللها السمك المشوي والمشروبات الكحولية"[43]

الغجر لا يأبون لمسألة الشرف، ويبحثون عن من يملك نفوذاً في الأوساط العراقية، فيدعونه ويلبّون حاجياته الجنسية، ثمّ يحصلون على المال والمعارف ويستطيعون تهديد من يؤذيهم، هذا ما حصل في رواية "لعنة كين". فارتبط الغجر برجال الأمن وهذه العلاقة أصبحت لصالح رجال الغجر:

"توطدت العلاقة بين الضباط والغجر كثيراً، اختار بعضهم عشيقات أو محظيات وأغدقوا عليهن الأموال. أما رجال الغجر فقد استقّووا بضيوفهم الجدد، واستعانوا بهم إنجاز مصالحهم في دوائر الحكومة"[44]

وقد استطاع الغجر الحصول على الجنسية العراقية وتثبيت العقارات بأسماءهم وخروجها من براثن الحاج صالح الانتفاعي، وقد جنوا ثروات هائلة من الضباط:

"جنت بعض الأسر الغجرية ذات النساء الجميلات ثروات كبيرة جراء تهافت هؤلاء على منازلها، مثلما حظيت بمكانة متميزة مستمدة من مكانة هؤلاء، مكانة منعت أجهزة الشرطة المحلية والأمن والمنظمات الحزبية من التعرض للغجر أو المساس بأحد، منهم"[45]

الدعارة في العراق من الأمور المهمة التي ارتبطت بالغجر، وظهرت بيوت دعارة وهناك من روّج لهذا المشروع، وهناك من عارض هذا الأمر، ولكن لا شك بأنّ هذا الأمر قد ظهر وبقوّة في الكمالية وفي بيوت الغجر، وهذا السلوك الشاذ عند الغجريات تأثّرت به نساة من العرب كما نقرأ عند الحديثي: "وقد كال سكان المنطقة الاتهامات للغجريات باعتبارهن اداة لانتقال سلوكهن الشاذ إلى غيرهن من نساء المنطقة، ونرى ان هذه الحالة ليست ناجمة عن اثر الغجر، بقدر ماهي متعلقة بسوء التربية البيتية النادرة من اسر المواطنين في الكمالية، ومنها ضغط بعض الاسر العراقية على الاسر الغجرية لاسيما المتجاورة منها متوخية ترحيلها وشراء مساكنها.[46]. وأيضاً انتبه الراوي إلى هذا الموضوع فتأتي غجرية تقول للراوي:

"جاءتنا امرأة جميلة لا تستطيع البقاء كثيراً، لم أجد أحداً يستحقها غيرك.- كم طلبت من أجور؟"[47]

فكانت هذه المرأة عربية تدعى أم صلاح، قام الراوي بنصيحتها وتركها لهذا البيت، وأعطاها مبلغاً لكي تشتري الأطعمة وغداً تحضر في مكتب صديق له لكي تشتغل في المكتب وتصون شرفها، ولكن الغجرية تردّ على الراوي قائلة: "هناك كثيرات مثلها يحضرن يومياً إلى بيوت الغجر، مطلقات، أرامل، فقيرات، بنات عوائل محتاجات للمال"[48]. فكانت الدعارة في الرواية مركزها في بيوت الغجر، وهذا الأمر سبّب في افساد الكثير من غير الغجر، ولو ترى الشخصية الغجرية، أنّ النساء اللواتي يأتين إلى بيوت الغجر للممارسة الدعارة، لم يأتن للترفيه، بل مصائب الدهر أتت بهن إلى هذه الأعشاش القذرة.

3-2. الناحية الاجتماعية للغجر

الغجر الذين يتنقلون من مدينة لمدينة يجدون أنفسهم منبوذين من المجتمعات ولعلّ الأمر يعود لأفعالهم كما يعتقد طه الحديثي قائلاً: أمّا من الناحية الاجتماعية فيتميز الغجر والقرج بميزات تجعلهم منبوذين من وجهة نظر المجتمع، وذلك لسلوكهم الشاذ الذي يتجلّى عند الغجر بمزالة الرقص والغناء اضافة إلى البغاء الذي تمارسه بعض اسرهم.[49] في رواية لعنة كين نشاهد اعتراض أم الراوي بعد ما وجدت البيت الذي اشتراه زوجها كان قريباً من الغجر: حين اصطحبنا أبي أنا وأمي لمشاهدة البيت، اعترضت أمي كونه قريباً جداً من الغجر، ردّ عليها أبي: **لم أجد أرخص منه**، سيبقى لنا مبلغاً نشتري به سيارة، ثم من قال أن الغجر باقون هنا للأبد، هم على رحيل دائم، أنا أعرفهم لايستقرون في مكان، هذه لعنة عليهم منذ الأزل[50]واكثر الغجر استقروا لأسباب وأهم الأسباب هي أن "استقر الغجر لكي يحصلوا على الهوية المدنية لكي يستطيعون شراء أراضي للزرع"[51]. إذن علاقة الأنا العراقية والآخر الغجري متوترة، ويرى الأنا العراقي أنا متألّه ولا يحق للغجري أن يكون جاره.

3-2-1. تقاليد الغجر وأوصافهم

هناك توصيفات معيّنة للغجر في الكتب العربية وغير العربية "وقد كان "جورج مين" من بين الذين حاولوا تحديد صفات الغجري الحقيقي أو النموذجي، فقد قرر أن الغجري الحقيقي له بشرة داكنة وشعر أسود، وعينان

لامعتان، وأسنان براقة، ووصف "تلهاجن" غجري سويدي بأنه كان قصير القامة ممتلئ الجسم ذو كتفين عريضين، ويرى البعض أنه يمكن تمييز السلالة النقية أو شبه النقية من الغجر تمييزاً واضحاً. فبشرتهم تميل إلى السواد بصفة عامة، وتتدرج من اللون الزيتوني القاتم إلى البني أو الأسود"[52]. ومن أهم تقاليد الغجر هي تقاليد الزواج فما زال الغجر يفضلون الزواج التقليدي المنحصر بينهم، كما لا ينتشر بينهم الطلاق ويستعيذون به بما يسمّى بالـ"كروا" وهو ما يشبه التآخي بين الزوجين في حال ملّ أحدهم الآخر، فيما مضى كان الغجر يحرق خيمة المتوفى بما فيها من اغراضه، وملابسه، وما يملكه. ولكن الآن لا نرى هذه الأمور لأن أغلبهم سكن في البيوت اللإسمنتية.[53] في الرواية يفهم الراوي من كلام ريما بأنّ الغجر لهم طقوسهم الخاصّة بهم، فعندما دخلت ريما في بيت الرواي وجلست أمام خولة أخته، دار حواراً بينهم رغم بساطته، ولكنه يعطي فكرة الغجر:

هذه ريما جارتنا لا تعاملها بخشونة، دعها تدخل متى أرادت.

-لكنها غجرية.

-وإن كانت، سأخيط ملابسها، اطمئن، لن أخطبها لك.

-ليش آني أتزوج هيج أشكال؟

ردّت ريما على كلامي بتحد وغضب: **<u>من قال أني سأقبل بك؟ نحن غجر لا نتزوج من العرب.</u>**

-اشبيهم العرب؟ أحسن منكم.

-العرب جرب.[54]

فالغجر لا يتزوجون من غير الغجر ويرون هذا الأمر مخالفاً لأعرافهم وتقاليدهم. وهذا الأمر يرجع إلى أنّهم "لديهم إحساس قوي بذواتهم، يجعلهم يترفعون على غيرهم ولا يتزاوجون -كقاعدة- معهم"[55]. من تقاليد الغجر هي أن لا يتزوجون غير الغجر كما شرحت ريما للراوي:

"قلت ذلك بصراحة لريما التي صارت تتردد على بيتنا باستمرار، ذهبت بعيداً في تخيلاتي، أخبرتها أني أتمنى أن أتزوج غجرية لتغني وترقص لي وحدي. أجابتني: - الغجرية لا تتزوج عربياً. – لماذا؟ - هذه اعرافنا وتقاليدنا".[56]

فمن هذا الجانب نرى ريما ترد طلب الراوي وتخبره بأن أعراف الغجر لا تسمح لهم بالزواج، وفعلاً لم يتقدّم إليها الراوي رغم حبه لها. ثمّ يروي لنا الراوي حبه لريما هذه الفتاة السمراء، وهذا اللون هي الصفة البارزة للغجر كما نقرأ "ان البشرة السمراء هي من ابرز الملامح الجسمية المميزة للغجر"[57]. نقرأ في الرواية:

"لا أدري بالضبط ما كان يشدني إلى غجرية سمراء طوال تلك المدة، منذ أن كنت مراهقاً إلى الآن وقد تجاوزت الأربعين"[58]

فالروائي حاول أن يتطرّق إلى جميع الجهات المختصّة بالغجر من أعراف وتقاليد وأوصاف ظاهرية. حاول الهنداوي أن يذكر ملامح الغجر وحياتهم اليومية والمعيشية، وأعرافهم وأعراسهم، وأزواجهم.

3-2-2. أمية الغجر

الأمية المسألة الأساسية عند الغجر و"يتّضح من قانون وزارة التربية رقم 124 لسنة 1971 في المادة السادسة الخاصة بالتعليم الابتدائي والثانوي، عدم اشتراطه في القبول ان يكون عراقي الجنسية مما يفيد ان من حق الاجنبي التعلم في مدارسه الابتدائية والثانوية، ولكن قانون تنظيم احوال الأجانب في العراق رقم 177 لسنة 1974 في المادة الثانية منع الاجنبي المقيم بصورة غير شرعية من القبول في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية. كانت ريما أمية لا تعرف القراءة والكتابة ويحاول الراوي أن يعلّمها القراءة والكتابة[59].

"الآن أصبحت أعراف معلومات تفصيلية عن الغجر أصولهم، طقوسهم، لغتهم، إلا أن الصعوبة التي تواجهني هي كيفية إيصال تلك المعلومات إلى ريما التي لا تجيد القراءة والكتابة وذات مستوى متدني في استيعاب ما سأقوله لها.. قلت لها: لو كنت تعرفين القراءة والكتابة لجلبت لك كتباً تعرفك بجذور الغجر في العراق والعالم. أجابت بعد أن تنهدت: آه لا تذكرني بالقراءة والكتابة، المدرسة حلمي المقتول في صدري، منذ الطفولة كنت أتألم حين أرى أطفال الناس يذهبون صباحاً إلى المدارس بملابسهم الجميلة يحملون حقائبهم، إلا أنا محرومة من التعلّم لأني غجرية وأسرتي لا تمتلك الجنسية. [60]

ثم يركز الروائي على هذا الأمر في الرواية لكي يبيّن للمتلقّي أنّ الغجر أميين، إذن مسألة الجهل والأمية وجهل الغجر بالكتابة وانعدام لغة مدونة خاصة بهم، أدّيا إلى ضياع المعاني الأصلية للقوانين التي توارثوها جيلاً إثر آخر[61]. وحاولت الحكومات أن تمحو الأمية بين الغجر لهذا بنوا لهم مداراساً خاصة بهم وفي أحياءهم لكي يجلبوا الأطفال إلى المدارس.

"قبيل اندلاع الحرب مع إيران، أطلقت تسمية العصر الذهبي على مدرسة ابتدائية جديدة تقع قريبة من الحي الغجري، وتمكّن بعض أطفالهم من الالتحاق بها بعد قرار الحكومة منح الغجر الجنسية والتمتّع بحقوقها، لأوّل مرة في تاريخ الدولة العراقية. [62]

وعندما أرادت الحكومات تعليمهم لم يلبّوا طلبات الحكومات لأنّهم غير منظمين ولايحبون الحياة الإدارية وأمّا "المتعلمون فاعدادهم قليلة جداً حيث بلغت 195 متعلماً من الغجر، أي بنسبة تساوي 4.5% من مجموعهم في سن ست سنوات فاكثر، وهي تتفاوت بين الذكور والاناث، فمثلا بلغ عدد المتعلمين 157 نسمة، تكون نسبتهم 7.4% من مجموع الذكور لنفس الفئات العمرية[63]". لهذا لم يستمر العصر الذهبي للغجر، لأنّهم تركوا المدارس وأرسلوا أبناءهم للتسوّل وبناتهم ينتظرن الحفلات، حتّى سقوط بغداد ونزوحهم من العراق.

3-2-3. اللغة الغجرية

لا شك لكلّ ثوم لغة خاصة يتكلّم بها الشعب، وللغجر لغتهم الخاصة كما أظهرت "الدراسة الميدانية ان للغجر لغة خاصة -ليست لهجة كما هو شائع خطأ بين الناس- تتكوّن من مفردات فارسية، ولهجات ترجع في الغالب إلى اصول ايرانية او آرية. ومن مفردات عربية وكردية، اذ تبين من تحليل 294 كلمة إلى اصلها، ان 208 كلمة فارسية، اي بنسبة 4، 72% من مجموعها، اضافة إلى ان ادوات الجمع فارسية، تلينها المفردات العربية، وعددها 54، آي بنسبة قدرها 3، 18% علماً بأن اكثرها تتكون من حروف الجر والضمائر المتصلة، وان 23 كلمة مجهولة الاصل اي بنسبة 82، 7% وان ثلاث كلمات معاصرة هي التلفزيون والسينما والدكتور، بنسبة 1% وثلاثاً تركية مغولية، وكلمتين كردية، بنسبة 68.% وواحدة عراقية قديمة بنسبة 34.% وتركيب الجملة في لغتهم يشبه تركيب الجملة العربية، كما أن الفعل "خاصة المضارع" متأثر بالعربية، فضلاً عن اداة التعريف فهي عربية ايضاً. وهذه اللغة هي التي تستعمل في التخاطب بينهم[64]." فالروائي فوزي الهنداوي يشير إلى هذه القضية قائلاً:

لم أكلم ريما خلال الطريق خشية أن تنكشف هويتها أمام السائق، فلهجة الغجر ونبرات أصواتهم وطريقة لفظهم للكلمات مميزة وتفضح أصولهم بسرعة.[65]

وعندما حضر الراوي في عرس الغجر يروي لنا قائلاً: ما أثار استغرابي خلال حضوري أعراس الغجر، ما سمعته من حوارات وكلام غريب دار بينهم، عبارات مبهمة يرطنون بها، بينما يتحدثون معنا بلهجتنا. سألت ريما عن سر تلك الحوارات بين الغجر، ضحكت، ثم قالت: هذه لغتنا نرطن بها بيننا.[66]

وقيل جهلُ الغجر بالكتابة وانعدام لغة مدوّنة خاصة بهم، أدّيا إلى ضياع المعاني الأصلية للقوانين التي توارثوها جيلاً إثر آخر، إذ انتقلت تلك القوانين شفاهاً، الأمر الذي أدى إلى تغيير جذري في مضامينها ومعانيها.[67] إذن اللغة الغجرية من اللغات غير المكتوبة وبما أنّ الغجر تشتّتوا فربّما ستعدم هذه اللغة.

3-2-4. سكن الغجر

عرفنا الغجر وهم يسكنون في الخيام وبيوت الشعر، ويترحلون من أرضٍ لأرضٍ أخرى، ولكن في السبعينات من القرن المنصرم سعت الدول توطين الغجر وعدم سماحهم بالترحال ودخول الأوطان من غير تأشيرة و"العامل الاداري المتمثل في مساعي الدولة لتوطينهم في مستوطنات خاصة بهم قرب المدن مثل حي المعامل (حي الطرب) في الزبير، وابي طرارید في الديوانية، والعثمانية الاميرية في الناصرية، والسحاجي في الموصل، والشراكة الغربية في السماوة، فضلاً عن أنها سمحت باستيطان الغجر في حي الكمالية بالعاصمة، الامر الذي ساعد على جذب اعداد كبيرة من الغجر الرحل إلى هذه المستوطنات والاستقرار فيها"[68] رواية "لعنة كين" تروي قصّة عوائل من الغجر سكنت الكمالية، وربما فتاة غجرية جارة الراوي عندما طُردت من قبل الجماعات المتطرفة جاءت في بيت الراوي، ليروي لنا الماضي:

"ذلك آخر ما قالته ريما صديقتي وجارتي الغجرية وهي تحزم حقيبتها وتغادر منزلها المقابل لبيتنا في شارع المشجّر بمدينة الكمالية.. حين دخلت بيتنا اتجهت مباشرة إلى الحديقة، جلست أسفل النخلة حيث كنا نجلس أنا وهي وأختي خولة حين كنا شباب في سبعينيات القرن الماضي"[69] فمن خلال هذا النص نعرف بأن الغجر في السبعينات سكنوا المنازل واستقروا وكما في حساب الحكومات، في المناطق المعيّنة سيّما الكمالية حيث مهدتها الحكومة في سبعينات القرن الماضي لهذا الأمر. "تقع الكمالية على طريق بغداد-بعقوبة القديم بمسافة 18 كيلومتر عن مركز العاصمة، وقد بدأت عملية استيطانها لاول مرة سنة 1958، حيث استطاعت بعض الاسر المقتدرة مالياً شراء الاراضي من الملاكين فيها باسعار رخيصة بلغت نصف دينار للمتر المربع الواحد"[70]. فالروائي وفق التواريخ المذكورة يأتي بأحداث حقيقية. وكانت البيوت في حي الغجر رخيصةالثمن: "تعمّد والدي شراء هذا البيت لرخص ثمنه كونه مجاوراً لبيوت الغجر، لم يكن الآخرون متحمسين لشراء مساكن قريبة من الحي الغجري تجنباً للإزعاجات والمضايقة، شاهدنا عبارة (هذا

بيت عرب) مكتوبة على أبواب أو جدران جميع المساكن القريبة من الغجر، فطلب والدي مني خط ذات العبارة على بابنا قبل أن نتعرض لأيّة مضايقة، ولم نتعرض لمثلها طوال أكثر من ربع قرن"[71] ورغم أنّ كانت البيوت والسكن فيها متاحة للغجر، فقد كان هناك من يحب السكن في الخيام، وكان الحاج صالح لا يحبّذ هذا الأمر ويطلب منهم أن يستقروا في البيوت، ومن أولئك الأثرياء هو محمود اللايح، ولكن في هذا الأمر مصلحة: "علماً بأن قانون التسجيل العقاري رقم 43 لسنة 1971، قد حرم الغجر من تملك العقار سواء كان ارضاً زراعية او اميرية لاعتبارهم أجانب ومع ذلك فقد شيدوا مساكنهم في الكمالية بمساعدة العراقيين، وهذه المساعدة تمت باسلوبين، يتمثل الاول في التحايل على القانون المذكور، وذلك بتسجيل الاراضي التي تم شرائها من الملاكين في مديرية العقار العامة باسماء العراقيين الذين يطمئنون اليهم بحكم قيام علاقات ودّية معهم عن طريق ترويج بناتهم للعراقيين"[72]، فحاج صالح من اولئك الأشخاص الذين انتفع من الغجر وثبّت عقاراتهم باسمه، وعندما سلبوه هذا الأمر انتقم منهم فيما بعد، ثم للغجر أيضاً أشخاص متمكّنين كمحمود اللايح رغم أنه ابتعد من هذه الامور سريعاً وبقى الدور لحاج صالح:

تمكن الحاج من إقناع محمود اللايح بشراء قطعة أرض في الكمالية، استحسن اللايح فكرة الحاج، فلم تعد خيمة غجرية في أطراف بغداد تليق بفارس ريسز معروف مثله... محمود أنت صديقي العزيز، أريدك أن تكون جاري، يكفي عيشة الخيم... تملّك محمود اللايح لقطعة أرض كان بمثابة حجر اساس لحي غجري كامل يشيد في بغداد ليكون نقطة تحول في حياة الغجر من خيك على أطراف العاصمة إلى مساكن عصرية ذات خدمات متكاملة.[73]

وكان حضور محمود الثري في الكمالية نقطة تحول واعتمد الغجر على الاستقرار وشراء سكن وعقارات. وكان فيما بعد اجازوا للغجر شراء عقارات باسم الغجر وتوطينهم كمواطنين من الدرجة الثانية.

5-2-3. أساطير الغجر

حاول الروائي يزجّ بالأساطير في نص الرواية ليعرّف القارئ على الغجر وجذورهم، من تلك الأساطير هي قصّة كين:

"يقال أن للبشرية ثلاثة أجداد، الأول: جد البيض وهم سكان أوروبا أيّ الشعوب البيضاء، والثاني: أسود وهو جد السود أو الزنوج والأفارقة، أما الجد الثالث: فهو جدكم، جد الغجر، واسمه كين.... كين كان مجرماً، قتل شقيقه، فغضب الله عليه، وكتب على نسله وذريته التشرد والترحال والتشتت في الأرض

إلى يوم القيامة. ولهذا السبب، عاش الغجر حياتهم متنقلين بين الدول دون أن يستقروا في مكان"[74] هذه في قصّة الترحال واللعنة، وفي قضية الصليب والمسيح يروي الروائي قائلاً:

"الأسطورة الثانية تقول أن جدكم كين المخمور دائماً، هو الذي تبرع بصنع المسامير ووضعها في الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح النبي عيسى (عليه السلام) ولذلك غضب عليه الرب وشتت ذريته في الأرض"[75]

هذا ما يذكره لنا جمال حيدر حول الغجر ومسمار المسيح: "بعدما حل المساء وبدأت العتمة تنشر خيوطها، خرج الجنديان من مدينة القدس بحثاً عن أي حداد، ووجدا غجرياً ناصباً خيمته وأمامه السندان، فأمره الجنديان بصنع أربعة مسامير كبيرة. وضع الحداد الغجري المبلغ في جيبه ثم بدأ بصنع المسامير، وكان كلما ينتهي من صنع مسمار يضعه أحد الجنديين في حقيبته، وحين بدأ الغجري بصناعة المسمار الأخير أخبره الجنديان بأمر المسامير، فجاء صوت الحدادين اللذين قتلهما الجنديان، خاف الجنديان وهربا دون أن يأخذا المسمار الرابع، أنهى الغجري المسمار الرابع وتركه يبرد جانباً وسكب عليه الماء، غير أن الماء تبخر وظل المسمار متوهجاً، وازداد المسمار احمراراً كلما سكب عليه الماء"[76]. إذن حياة الغجر مليئة بالأساطير والقصص حيث من المهم التوجّه إليها.

3-3. الغجر بعد الاحتلال

عمّت الفوضى في العراق بعد سقوط بغداد، ولم تكن حكومة لكي تحمي الشعوب والأقليات، لهذا كلُّ من كان يحقد على فرد أو جماعة، يحزّب عليهم ويقتلهم، هذا ما صار للغجر، لأنّ اشتكو الحاج صالح بعد ما أراد يسلب بيوتهم وهذه قضية مهمة على أرض الواقع كما ينقلها الحديثي: "ومن المؤسف انه بعد ارتفاع ثمن اراضي السكن في الكمالية، اثر توسع العاصمة وزيادة الطلب عليها إلى نحو 5.5 ديناراً للمتر المربع الواحد حالياً، لم يلتزم بعض العراقيين الذين سجلوا مساكن الغجر باسمائهم في مديرية التسجيل العقاري بعقد البيع، وانما انقلبوا على الاسر الغجرية، واخذوا يطالبونها"[77]. هذا ما حدث للغجر مع الحاج صالح بغداد تليق بفارس بعد الاحتلال في عام 2003 جاء الحاج صالح وهو الذي كان يحقد على الغجر، وخطب بالناس وغيّر اسم الحي إلى حي الزهراء وأمر بقتل الغجر وتهجيرهم:

"صعدت على سطح الدار لأستطلع ما يجري في الحي الغجري، تألّمت لما رأيت، حركة سريعة بين البيوت، رجال ونساء وأطفال يركضون في اتجاهات عدة، ثم يعودون بعد أن يكتشفوا أن المسلحين قد طوقوا الحي من جميع الجهات، اضطروا للتجمع في مساكن شيوخهم، عجائز لا يستطعن فيسقطن على

الأرض، لم يسعفهنّ أحد، قيامة الغجر قد حلت في هذا اليوم المشؤوم. نزلت خوفاً من رصاصة طائشة.. ما أن دخل المسلحون الزقاق الأول حتّى دوى أزيز الرصاص وأصوات الانفجارات، هرعت مصطحباً بندقيتي لأكون إلى جانب ريما وأسرتها، التحقت بنا أمي، رأيت ريما ومديحة ترتجفان وهما تمسكان بعضهما"[78]

فقد أحاطوا بالغجر وسلبوا بيوتهم وأخذوا أوراقهم التي تثبت بأن البيوت للغجر، ثمّ هجّروهم إلى سورية. يروي الهاشمي قائلاً: "وقد تعرض الغجر أو الكاولية وهذه تسميتهم المحلية في العراق إلى اعتداءات وتهجير من المليشيات الدينية المسلحة والعناصر الإرهابية التي ظهرت إلى الساحة بعد انهيار النظام في العراق عقب حرب 200 واحتلاله. وان هذه الاعتداءات جاءت بداعي انحراف الغجر السلوكي وممارساتهم المتقازعة مع الثقافة العراقية المحافظة. الأمر الذي أدى إلى أن تتحول حياة هؤلاء إلى بؤس أكبر مما كانوا يعيشون في السابق وفي ظروف صعبة"[79] وقد اشفى غليله الحاج صالح من الغجر بعد الاحتلال فقد أخذ جميع بيوت الغجر وهجّرهم:

"لم يزد التفاوض طويلاً، مُنح الغجر 24 ساعة فقط لترك مساكنهم على أن يسلّموا خلال هذه المهلة سندات عقاراتهم إلى الحاج صالح لتُباع حسب أسعار السوق، تكفل الوجهاء بتسليم مبالغ بيع العقارات إلى نمر الغضبان، وحسب التصريف... قبل ظهر اليوم التالي، الثالث عشر من نيسان، رحلت جميع الأسر الغجرية، شدّت الرحال صوب المجهول، عجلات حمل كبيرة وأخرى صغيرة حملت أسمالهم واتجهت بعيداً عن الكمالية"[80]

الفوضى التي عمّت البلاد بعد الاحتلال أدّت إلى ظلم الأقليات وطردهم من مساكنهم، وقتل من يعترض بهذا الأمر. "احتلت القوات الأمريكية العراق بشكل مفاجئ، وسريع، بدأ أولاً بدخول تلك القوات أطراف العراق، ومقاومة الجنوب لها، وذلك في العشرين من مارس 2003م، وفي غضون الشهر سيطرت أمريكا على العراق بكامله بسقوط بغداد عاصمة الرشيد، دون قتال، لتطوى بذلك سنوات الحصار، والديكتاتورية وتبدأ سنوات الاحتلال والدم"[81]. فالكثير من الغجر فرّوا من العراق كما فرّت ريما بطلة الرواية الغجرية:

انحرف يساراً، فدخل زقاق الحاج صالح حيث بداية حي الغجر، صدمت بالمشهد، بيوت مهجورة وقد قُلعت أبوابها وشبابيكها، خالية من البشر تماماً، لا علامات على حياة في الحي الذي كان يعج بالحركة، سوى نباح كلاب هنا وهناك.. واصلت السيارة سيرها بين الأزقة قرأت عبارات خطت على أبواب وجدران منازل الغجر: الموت للغجر، لا غجر في العراق الجديد، إلى الجحيم أيها الزناة.[82]

والتغيير الحاصل بعد الاحتلال "التغيير العربي فكان على مستويين، عام و خاص، العام: يكمن في إدراك رؤساء، وزعماء البلاد العربية الدرس الذي دفع ثمنه العراقيون من دمهم، وحريتهم، والتمثيل بقادتهم، والخاص: بتغيير تفكير العراقي، ونظرته للأمور وضرورة مسايرته لتلك الأوضاع الجديدة، والتعايش معها، وما كان للروائيين إلا أن يسجلوا في رواياتهم ما آلت إليه الأوضاع السياسية بالعراق، فسجل الروائي العراقي كل ما مر على العراق من أحداث متلاحقة، تارة بعين الأسف على ما مضى، وتارة أخرى بعين الرضا"[83] وقطعاً الهنداوي يتأسّف من هذه الأحداث وإذا دققنا بنفسية الراوي لوجدنا الحزن والشجن يسيطرا عليه. إذن بعد الغزو ظهرت جماعات مضادة للغجر كما ظهر الحاج صالح و هو يحرّض الناس على قتل الغجر:

"فالوقت ليس وقت كلام، أدعوكم لتطهير مدينتكم، مدينة الزهراء، نعم هذا أسمها الجديد، طهّروها من النجاسة والرذيلة، هبوا لطرد الغجر الأنجاس منها، فهم كفرة زناة. نظموا أنفسكم، تسلّحوا لا ينقصكم شيئاً، الفتوى معكم والسلاح بأيديكم، أخرجوهم، لتبقى هذه المدينة مقدسة طاهرة، كما هو اسمها الجديد"[84]

فحال الغجر بعد الغزو الأمريكي كحال باقي الأقليات منها اليزيدية والمسيحية فقد عانت هذه الأقليات من العنصرية والتنمّر والتهجير والقتل والانفجارات، فبعد الاحتلال ترجع الأمور أكثرها شخصية لا أثر لها من إنسانية، أو مذهبية، كما شرح لنا الرواي قصّة الغجر في الكمالية وحقد الحاج صالح تجاه هذه الأقلية التي لا عون لها ولا قوة.

4. النتائج

رواية لعنة كين، رواية كُتِبت خصيصاً لنقل معاناة الأقليات الساكنة في العراق وتحديداً الغجر الساكنين في الكمالية منذ حقبة السبعينيات حتّى الغزو الأمريكي على العراق واحتلال بغداد، وعندما عمّت الفوضى في الديار ظهرت جماعات انتهازية لكي يجعلون المسائل الشخصية لمسائل مذهبية لتصبح قضية انتفاعية أكثر من أن تكون قضية أمنية، أو مذهبية. فوزي الهنداوي الروائي العراقي المعاصر قد استطاع أن يصوّر صورة حقيقية للغجر بكل طقوساتها وأعرافها الاجتماعية والاقتصادية، فيشير إلى الحقبة السبعينية وتوطين الغجر واستقرارهم في الكمالية، ثمّ علاقات العرب مع الغجر في تلك المناطق، وظهور أشخاص يبحثون عن استقالة الغجر لمآربهم الدنيوية من سرقة عقارات وتجارة الجنس وادارة الملاهي، وهناك بعض الغجر قد ابتعدوا من هذه الأمور وعاشوا حياة عادية كباقي المواطنين، أمّا عندما سقطت بغداد واحتلّت قوذات امريكا للعراق، جاءت عصابات وارهبت الغجر وطردتهم من بيوتهم لكي يستملكوا كل هذه

العقارات. فالرواية قصة ظهور واستقرار وحياة تمتد لثلاثين سنة، ثمّ تحلّ اللعنة التي جلبها جد الغجر لأحفاده من الترحال وعدم الاستقرار. الرواية بيّنت الغجر البسطاء الذين يريدون العيش لا أكثر، ويحبون الانتماء إلى وطن لكي يظهرون حبهم له ويثبتون ما أن شكّك بولاءهم أحد، فهذه رواية تعالج قضية جيل من الغجر بأكمله، ونستطيع أن نسمي الرواية بالرواية التاريخية والاجتماعية والسياسية. فقد صوّر الروائي صورة الغجر في بيوتهم في أيام العصر الذهبي حيث استقرّ الغجر وأصبحوا مواطنين عراقيين ودخلوا المدارس، وكما صوّرهم وهم في بيوت الدعارة وفي حفلاتهم الغنائية ورقص نسائهم، واعتمد الهنداوي على صورة الآخر الغجري من وجهة الأنا العربية أكثر من أن تكون أنا عراقية.

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن منظور، (1303ق): ***لسان العرب***، ط1، ج7، المطبعة الأميرية، بيولاق، مصر.
- أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): ***شخصيتي كيف أعرفها؟*** ط3، بيروت: لبنان، دار الآفاق.
- أفاية، محمد نور الدين، (1991م): ***الغرب في المتخيل العربي***، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام.
- بوحلايس، سلاف، (2009م): ***صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري***، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر.
- الحديثي، طه حمادي، (1979م): ***الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية***، ط1، الموصل: نشر جامعة الموصل.
- حسيبة، مصطفى، (2009م): ***المعجم الفلسفي***، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- حنّون، عبدالحميد، (1986م): ***صورة الفرنسي في الرواية المغربية***، ديوان المطبوعات الجامعية.
- حيدر، جمال، (2008م): ***ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب***، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ذكاء، يحيى، (1959م): ***كولي وزندكي او***، ط1، تهران: هنرهاي زيباي كشور.
- رجب، محمود، (1994م): ***فلسفة المِرآة***، القاهرة: دار المعارف.
- السليماني، أحمد ياسين، (2009م): ***التجليّات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر***، دمشق: دار الزمان.
- عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، مجلة ***الأدب العربي***، جامعة طهران، السنة11، العدد1، صص1-22.
- علوان، محمود، (2013م): "زط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والغجري واحد"، ***جريدة فيتو***، جريدة أسبوعية، تصدر عن شركة الأحرار للصحافة والطباعة والنشر، ص2.

- عيسى، فوزي، (2011م): ***صورة الآخر في الشعر العربي***، التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- كُحيلة، عبادة، (1994م): ***الرُط والأصول الأولى لتاريخ الغجر***، ط1، القاهرة: كلية آداب القاهرة.
- الماوردي، فاطمة حسن، (2018م): "قضايا الرواية العراقية الحديثة في الفترة من 1990م وحتّى 2011م"، **مجلة البحث العلمي في الآداب**، العدد19، صص1-18.
- موريسون، طوني، (2009م): ***صورة الآخر في الخيال الأدبي***، ترجمة الدكتور محمد مشبال، فاس: منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، مطبعة آنفو.
- نامور مطلق، بهمن، (2010م): دراسة صورولوجية لتعريف بطريقة نقدية في الأدب التطبيقي، ***دراسات في الأدب المقارن***، جامعة آزاد الإسلامية جيرفت، السنة3، العدد12، صص 119- 138.
- نبيل، صبري، (1980م): "***جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية***، ط1، القاهرة: دار الآداب.
- الهاشمي، حميد، (لاتا): **تكيّف الغجر**، دراسة انثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، بغداد: مكتبة الفكر الجديد.
- الهروط، بلال سالم، (2008م): ***صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية***، أطروحة للدكتوراه، أردن:جامعة مؤتة.
- الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ط1، بغداد: دار اس ميديا.

[1]. رجب، محمود، (1994م): *فلسفة المِرآة*، القاهرة: دار المعارف، ص15.

[2]. أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): *شخصيتي كيف أعرفها؟* ط3، بيروت: لبنان، دار الآفاق، ص72.

[3]. حنّون، عبدالحميد، (1986م): *صورة الفرنسي في الرواية المغربية*، ديوان المطبوعات الجامعية، ص82.

[4]. حنّون، عبدالحميد، (1986م): *صورة الفرنسي في الرواية المغربية*، ص61.

[5]. حنّون، عبدالحميد، (1986م): *صورة الفرنسي في الرواية المغربية*، ص68..

[6]. عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، مجلة *الأدب العربي*، جامعة طهران، السنة11، العدد1، صص1-22، ص7.

[7]. عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، ص7.

[8]. السليماني، أحمد ياسين، (2009م): *التجليّات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر*، دمشق: دار الزمان، ص91.

[9] . ابن منظور، (1303ق): *لسان العرب*، ط1، ج7، المطبعة الأميرية، بيولاق، مصر. مادة آخر.

[10] . ابن منظور، (1303ق): *لسان العرب*، ط1، ج7، مادة آخر. مادة آخر، 69.

[11] . أفاية، محمد نور الدين، (1991م): *الغرب في المتخيل العربي*، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام، ص11.

[12] . الهروط، بلال سالم، (2008م): *صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية*، أطروحة للدكتوراه، أردن:جامعة مؤتة. ص 13.

[13] . بوحلايس، سلاف، (2009م): *صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري*، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر ، ص17-18.

[14] . بوحلايس، سلاف، (2009م): *صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري*، ص17-18.

[15] . كُحيلة، عبادة، (1994م): *الزُط والأصول الأولى لتاريخ الغجر*، ط1، القاهرة: كلية آداب القاهرة، ص6-11.

[16] . حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ص 21-22.

[17] . علوان، محمود، (2013م): "زط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والغجري واحد"، *جريدة فيتو*، جريدة أسبوعية، تصدر عن شركة الأحرار للصحافة والطباعة والنشر، ص2.

[18] . نبيل، صبري، (1980م): "*جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية*، ط1، القاهرة: دار الآداب، ص15.

[19] . حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص7.

[20] . ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزندكي او*، ط1، تهران: هنرهاي زيباي كشور، ص9-10.

[21] . نبيل، صبري، (1980م): "*جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية*، ص16.

[22] . ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزندكي او*، ص10.

[23] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ط1، بغداد: دار اس ميديا، ص 22.

[24] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 57.

[25] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ط1، الموصل: نشر جامعة الموصل. ص 54.

[26] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 60-61.

[27] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 62.

[28] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 169.

[29] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 88.
[30] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 9.
[31] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 44.
[32] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 9.
[33] . حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 173.
[34] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 20.
[35] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 172.
[36] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 20.
[37] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 9.
[38] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 20.
[39] . حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 22.
[40] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 41.
[41] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 35.
[42] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 116.
[43] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 70-71.
[44] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 71.
[45] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 89.
[46] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 54.
[47] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 101.
[48] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 103.
[49] . الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 9.
[50] . الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 17.
[51] . ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزندكي او*، ص 31.
[52] . نبيل، صبري، (1980م): "*جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية*، ص 15.
[53] . نبيل، صبري، (1980م): "*جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية*، ص 16-17.

[54]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 18.
[55]. كُحيلة، عبادة، (1994م): *الزُط والأصول الأولى لتاريخ الغجر*، ص 6.
[56]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 22.
[57]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 13.
[58]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 14.
[59]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 163.
[60]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 33.
[61]. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 37.
[62]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 69.
[63]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 163.
[64]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 10.
[65]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 10.
[66]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 31.
[67]. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 11.
[68]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 26.
[69]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 11.
[70]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 52.
[71]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 16-17.
[72]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 52.
[73]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 47.
[74]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 38-37.
[75]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 39.
[76]. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 29.
[77]. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية*، ص 54.
[78]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 88.

[79]. الهاشمي، حميد، (لاتا): تكيّف الغجر، دراسة انثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، ص12.

[80]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 120-125.

[81]. الماوردي، فاطمة حسن، (2018م): "قضايا الرواية العراقية الحديثة في الفترة من 1990م وحتّى 2011م" ، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد19، صص1-18، ص7.

[82]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص 14.

[83]. الماوردي، فاطمة حسن، (2018م): "قضايا الرواية العراقية الحديثة في الفترة من 1990م وحتّى 2011م، صص1-18، ص7.

[84]. الهنداوي، فوزي، (2018م): لعنة كين، ص115.